

فنان واجه الموت 3 مرات
الفقيه عبدالرحمن صالح باجنيد
أشرف جرجره

هولندا / نوفمبر ٢٠٠٨
عزيزي وأهلي من قديم الزمان
آل مبرهرة أشرف بن عثمان
POR FAVOR
هذه صفحات للذكرى والتاريخ
والذكريات صدى السنين المحللي .
إنها ناقوسٌ يذق في عالم التسيان
مع أهمل التحيات :
ص أخيك آل باجنيد عبدالرحمن
على أمل أن تجمعنا أيامنا بكم
ذات يوم غريب الزمان ،
يا أعز وأصدق وأتيل وأسرف
السرفاء .
يا أشرف من عثمان
حفظك الله على مدار الزمان
عبدالرحمن باجنيد
نوفمبر ٢٠٠٨

بخط يده وبهذه الكلمات الطيبة أهداني زميل كلية عدن وصديقي ورفيق العمل الإذاعي والتلفزيوني
عبدالرحمن صالح باجنيد كتاب " عدن من عام 1839 - 1967" للصحفي نجمي عبدالمجيد وذلك في
إحدى زياراتي لمقر إقامته في هولندا عام 2008 م.

صُعق محبو الفنان عبدالرحمن باجنيد والمعجبون بفنه في عدن وأسرّة صالح باجنيد لوقوع حادثة الوفاة الغامضة للصديق والأخ العزيز في 11 مايو 2011 م. فقد تُوفي من جراء طعنات قاتلة على جسده، وعُثر على جثته في الشقة التي كان يسكنها في خورمكسر بعدن. حدث ذلك في ظل الاوضاع الامنية الفوضوية والمضطربة في عدن. ولم يُعثر حتى الآن على قاتليه ناهيك عن التحريات والمتابعة القانونية لارتكاب الجريمة.

لم تكن هذه المرة الاولى التي يواجه الراحل عبد الرحمن باجنيد الموت. فقد سبق وأن حاول مختل عقلياً الاعتداء عليه في هولندا وقتله بتسديد طعنات مماثلة على جسده. ولولا مشيئة وحفظ الله وإسعاف الرعاية الصحية المتطورة في هولندا لتوفي عبدالرحمن باجنيد قبل سنوات عدة. وأستغرق علاج جروحه وفترة نقاهته في المستشفى أسابيع عديدة. وعزى عبدالرحمن باجنيد شفاءه للرعاية الالهيه والرعاية الطبية المتقدمه في هولندا ورعاية زميله في العمل الإذاعي والتلفزيوني في عدن وهولندا الصديق خريج كلية عدن محمد عمر بلجون الذي دأب على زيارته في المستشفى لتفقد حالته الصحية. وحل مكانة اهله في هولندا.

وكما يبدو أن عبدالرحمن باجنيد لم ينجو هذه المرة من الموت في عدن وشاء القدر أن توافيه المنية نتيجة نقص في الإسعاف السريع والرعاية الطبية المتطورة. وتُوفي عن عمر ناهز 69 سنة.

انتهت في ذلك اليوم المشؤوم أحلام وآمال الأخ العزيز الفنان عبدالرحمن باجنيد، وبالنسبة لي فقدان صديق عرفته منذ التحاقه بمحطة عدن للإذاعة ولاحقاً بتلفزيون عدن. وأنا حين أتذكره الآن ، أتذكر أنه كان حنوناً يحب المزاح ومتميزاً جداً ومثاقلاً في جميع نواحي فنون العزف والتلحين والغناء والفن الإذاعي والتلفزيوني. وكان في نفس الوقت مثابراً في عمله متفوقاً في كل قسم ينتقل إليه، وكانت تربطني به صداقة مثالية متينة لا مثيل لها في الحياة. كنا نتقاسم هموم العمل وهموم المجتمع وهموم الوضع الاجتماعي والمعيشي وخاصة بعد الاستقلال الضائع. وكانت اللقطات الحوارية العابرة بيننا في كل حين عندما نلتقي خارج منازلنا فرصاً ثمينة لاكتشاف قواسمنا المشتركة ، وكان أهم قاسم مشترك بيننا هو تبادل المشاعر الأخوية المتينة والتدبير للهجرة هروباً من حكم الجبهة القومية الجائر. كان مخلصاً في صداقته، عظيم الهمة، نظيف القلب واليد واللسان! وكان السائق المتطوع لنقلي بالسيارة مع زوجتي الى مطار عدن بعد قرارنا مغادرة البلاد الى غير رجعه وبسريرة تامة بعد الانقلاب الغادر على رئيس الجمهورية آنذاك قحطان محمد الشعبي بما سُمي بالخطوة التصحيحية خلال شهر يونية عام 1969 م.

كثيرة هي المواقف التي عانى منها وعاشها الفقيد، وربما لايعرف البعض أنه تم سجنه من قبل الطغمة الحاكمة في السبعينات أثناء زيارة لاهله في عدن . تم إعتقاله دون سبب وادع في مركز شرطة المنصورة دون تهمة او برهان. وكل ما قيل آنذاك أنه كان يعمل جاسوساً لحساب حكومة اجنبية الأ وهي هولندا حيث كان يعمل في إذاعتها بالقسم العربي. ومما عُرف عن عبد الرحمن باجنيد أنه كان عنوداً لايأبه بالمخاطر. وخطط لتخليص نفسه من الحبس الاجباري وما قد يترتب عن ذلك الاعتقال. ولحسن حظه أن الغرفة التي كان يُحتجز فيها كانت فيها نافذة مطلة على الشارع العام في المنصورة. فاستغل فترة تغييرنوبات الحرس وكسر زجاج النافذة وقفز منها الى الشارع وهرب سريعاً متخفياً الى بيت زميل له في كلية عدن المرحوم

محمود علي عبده طالباً اللجوء في بيته في المعلا حتى تهدأ أمور البحث عنه. كان ذلك تفكيراً سليماً إذ عُلم فيما بعد أن الشرطة داهمت منزل أبيه في حافة القاضي في كريتر عدن وعندما لم تجده أعتقلت والده وُعذب بسبب هروب الابن.

إستمر إختباؤه في شقة المرحوم محمود علي عبده فترة قصيرة من الزمن ريثما يتم ترتيب نقله بسرية تامة عبر الحدود اليمنية الشمالية التي كانت حكومتها آنذاك تنتهج سياسة مغايرة لسياسة الحزب الشمولي الواحد في عدن. وعندما جاءت ساعة الصفر تخفى عبد الرحمن بلباس يمنية شمالية وعمامة تغطي رأسه ووجهه وإستقل سيارة خاصة رباعية الدفع، وتوجه خلال الليل عن طريق كمران الى الحدود الشمالية. وجلس في السيارة من دون أن ينطق بكلمة واحدة كلما توقفت السيارة عند نقطة تفتيش. وعند وصوله الحدود الشمالية تنفس الصعداء وشعر بالحرية بعد الهروب.

واصل عبد الرحمن باجنيد طريقه الى صنعاء وأتصل بالمرحوم عبدالله عبد المجيد الاصنج خريج كلية عدن والذي كان وزيراً في حكومة الشمال اليمني والذي ساعده في إيجاد سكن كما ساعده في إقامة بعض الحفلات الغنائية لجمع المال اللازم إستعداداً لعودته الى إذاعة هولندا مصدر رزقه. وجمع المال الكافي من إقامة حفلات غنائية في صنعاء وجبوتي، ولم يكن على علم من أن المسؤولين في إذاعة هولندا قد إتخذوا قراراً، رغم طول فترة غيابه عن العمل بصرف تذكرة سفر من صنعاء الى هولندا وإبقائه موظفاً في الاذاعة متمتعاً بكامل مستحقاته الوظيفية. ولم ينس احوال المشقات التي مر بها. ورغم إستلام راتبه الشهري الكامل للفترة التي تغيب فيها إلا أن الاخبار حملت له من عدن وفاة والده بعد إطلاق سراحه من المعتقل التعسفي. ولم يستطع عبدالرحمن باجنيد حضور جنازة والده في عدن. وتركت هذه التجارب مرارة في نفسه ودفعته إلى جمع المال الوفير لإعانة أسرته مالياً في عدن وإلى إهمال نفسه ومظهره وتغيير أحلامه وآماله في الحياة.

ومما زاد الطين بله هو تواصل محمد علي غالب وهو زميل سابق في إذاعة عدن مع عبدالرحمن باجنيد يسأله ما إذا كان يحبذ العمل مع السلطات الاميريكية التي كانت حكومتها تسعى لقلب نظام الحكم في اليمن الجنوبي الماركسي. وطبعاً رفض عبدالرحمن باجنيد العرض وأكتفى بمزاولة فنه الموسيقي وفنه الإذاعي. إلا أنه لم يستمر طويلاً في الغناء والتلحين وتوقف مكتفياً بمزاولة فنه الإذاعي.

تحسن وضعه المالي كثيراً وبدأ في الاستثمار بمجال العقارات فاشترى بيتاً من طابقين خارج مدينة أمستردام ثم موقفين للسيارات، كما اشترى شقة في لشبونة عاصمة البرتغال وادع بعض العملات بالدولار في بعض البنوك الاوربية وعدن. ومع وفرة المال كان دائم الشوق والحنين لاهله في عدن. وبعد قيام الوحدة بين الشمال والجنوب اليمني وحرب الانفصال عام 1994 م تشجع وعاد الى عدن واشترى شقة في خورمكسر وموقفاً لسيارته. وقرر قضاء أشهر الشتاء في عدن بعد إحالته للمعاش.

تقابلنا كل سنة في هولندا والبرتغال وكذلك في عدن عام 2006 م. وكان المرشد في كل زيارتنا لاوروبا وعدن. وبقينا على إتصال مستمر عن طريق الهاتف طيلة بقائنا في هولندا وإسبانيا. وقد أهداني تسجيلاته الموسيقية ذات الجودة العالية والتي سجلها في القاهرة وهولندا.

ترك عبدالرحمن باجنيد بصماته في العمل الإذاعي سواءً في عدن أو هولندا كما ترك كنزاً من الألحان العربية والجنوبية الجميلة التي لاتزال حاضرة بعد وفاته. كما ترك للاطفال الحاناً خالدة لاتزال في الازدهان حتى يومنا هذا. ولايعرف الكثيرون أن عبد الرحمن باجنيد كان مؤلفاً لايبات بعض أغانيه مثل أغنية "الزفة" و "أنا خائف من حبك".

كانت فلسفته في الحياة العمل الدؤوب من اجل كسب لقمة العيش النظيفة، وإدخال الفرحة في محبي فنه والعطاء بغير حساب. كان لطيف المعشر محباً للفكاهة، وسريع البديهة. أنا شخصياً أفقدت صداقته وما بقي لي من ذكريات هي صوته الحنون والحانه التي تذكرنا بزمن التنوير والإبداع الذي عاشته عدن والجنوب العربي.

تعازينا القلبية الخالصة لعائلة باجنيد ولاصدقاء الفقيد وزملائه ومحبيه ولفقيدنا الغالي الرحمة الابدية.